فتح البيان

في مقاصد القرآن

تفسير سلفي أثري خالٍ من الإسرائيليات والجدليات المذهبية والكلامية
يغني عن جميع التفاسير ولا تغني جميعها عنه

تأليف

السيد الإمام العلامة الملك المؤيد من الله الباري

أبي الطيب "صديق بن حسن بن علي الحسيني القنوجي البخاري"

"١٢٤٨ - ١٣٠٧هـ"

عني بطبعه وقدّم له وراجعه

خادم العلم

عبد الله بن ابراهيم الأنصاري

الجزء الرابع

المكتبة العصرية

صيدا - بيروت

١٤١٢هـ - ١٩٩٢م

شركة أبناء شريف الأنصاري للطباعة والنشر والتوزيع

المكتبة العصرية للطباعة والنشر

الدار النموذجية المطبعة العصرية

بيروت - ص. ب ٨٣٥٥ - تلكس SCS ٢٠٤٣٧ LE

صيدا - ص. ب ٢٢١ - تلكس ٢٩١٩٨ LE

مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾

﴿ما قلت لهم إلا ما امرتني به﴾ هذه الجملة مقررة لمضمون ما تقدم أي ما أمرتهم إلا بما أمرتني والاستثناء مفرغ ﴿أن اعبدوا الله ربي وربكم﴾ هذا تفسير لمعنى ما قلت لهم أي ما أمرتهم إلا أن وحدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ﴿وكنت عليهم شهيداً﴾ أي حفيظاً ورقيباً أرعى أحوالهم وأمنعهم عن مخالفة أمرك ﴿ما دمت﴾ أي مدة دوامي ﴿فيهم﴾.

﴿فلما توفيتني﴾ قيل هذا يدل على أن الله سبحانه توفاه قبل أن يرفعه، وليس بشيء لأن الأخبار قد تضافرت بأنه لم يمت، وأنه باق في السماء على الحياة التي كان عليها في الدنيا حتى ينزل إلى الأرض آخر الزمان، وإنما المعنى فلما رفعتني إلى السماء وأخذتني وافياً بالرفع.

قيل الوفاة في كتاب الله سبحانه قد جاءت على ثلاثة أوجه بمعنى الموت ومنه قوله تعالى: ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها﴾ وبمعنى النوم ومنه قوله تعالى: ﴿وهو الذي يتوفاكم بالليل﴾ أي ينيمكم، وبمعنى الرفع ومنه ﴿فلما توفيتني﴾ وإذ قال الله يا عيسى إني متوفيك والتوفي يستعمل في أخذ الشيء وافياً أي كاملاً.

﴿كنت أنت الرقيب﴾ أصل المراقبة المراعاة أي كنت الحافظ لهم والعالم بهم والشاهد ﴿عليهم وأنت على كل شيء شهيد﴾ أي شاهد لما كان وما يكون أو أنت العالم بكل شيء فلا يعزب عن عملك شيء ومنه قولي لهم وقولهم بعدي.